صوت العراق المسلم

العدد : ٢٠٥ الموافق في شعبان ١٤١٩ هجري ١ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : الطلاق العسكري	بقلم : سها عبد الحميد أحمد

صدر في العدد ٢٠٢ من { الرائد } مقالة للكاتبة سها عبد الحميد أحمد بعنوان « الطلاق العسكري » ؛ كرسالة من زوجة سجين إلى زوجها . وها نحن نورد في العدد الحالي جواب تلك الرسالة .

حبيبتي ... أبكتني كلماتك

وتعدى التعذيب إنسانيتي وإنسانيتك

وما أضاء ظلام الزنزانة يوماً إلا حنيني لأنوثتك

ورغم أني مرمي على فراشك المفجوع

نصف جسد

وربع حواس

وبقايا إنسان يستعد للرحيل من وداع مبتور وفراق مأسور

تطرح آلامه سؤالاً ؛ أننفض عن هممنا غبار الخمول ؟!

ونرفض أن نكون تبعاً لقادة بلا مضمون ومعنى ، فارغين كالطبول

محتجين بعدالة الإسلام

أن يدون التاريخ في ملفه : أغلقت القضية ضد مجهول .

غاب زمني عنكِ طويلا

لقد طال احتضار سنواتي أمداً بعيداً

كدت أحسب أن عودتي إلى سكننا الدافئ مستحيلاً

أود حبيبتي ... لو أقول كل ما في أعماقي لكني نسيت كيف يكون الكلام وما حجم أوجاعي

ولقد سُرقت مهارة الفراعنة وتحنط في عالمنا حتى الإعلام

وها قد انتهى الأوصياء من حياكتهم للعالم الثالث ثوب السلام

وماذا فعلنا كشعوب وأمم ؟

رضينا بارتدائه المسموم

وقبلنا الأيدي

صُفقنا بحرارة ... لمن أتقن زخرفته بجدارة

وبدت وجوهنا على الشاشات للعالم عافية مطابقة للسقم

والعرق يتصبب من جبين عقيدتنا المحموم.

محموم من رضانا الصامت وردودنا الخرساء

ومن استسلامنا فلقد غدا أقبح من أقبح شمطاء

وإن وقع الحكام على قرار اطعام شعوبهم وجبات بني قريظة المستوردة

اشتريناها كشعوب وأمم لنتلهمها بنهم ... ونحن على يقين أنها سم دس في دسم

نعم حبيبتي صدقني فقد لساني قدرته على الحياة

ما عادت تحركه إلا لسعات الكهرباء الحائرة أو ضربات العصي المنهكة

كنت دائما أحاول أن استعين بتاريخ عمار بن ياسر وسعيد بن الجبير لتمر قصصهم كالرعد وتوقظ غيبوبتي

عشرون سنة وأنا كبقايا قمامة مرمية على قارعة الطريق لا وزن لها ... لاحجم لها

وكلما أثاروا في ظلام السجن ضجيجهم السخيف أعرف أن الأحداث في النور متأزمة

ما لبثنا سنوات معدودة حتى غدت أشخاصنا المميزة هياكل عظمية متحدة وحدتها هوية مفقودة وحريتها سبية مقهورة

واشتراكيتها عتمة مصرة على جريمتها

ما كان يبكيني الصراخ الدائم ...

أشكوكم لله ... اشهد ياجبار ... ارحمني يارب

وعندما لا تمتد يد من سقف الزنزانة يعلو الصراخ مستنجدا بجمعية الرفق بالإنسان

وأقول بيني وبين نفسي لو لم يفقد هذا السجين وعيه لختصر الطريق واستنجد بجمعية الرفق بالحيوان

نعم إن عقلية دارون تحتل في جدران سجون العرب الصدارة مغمورة بالسعادة لصدق أكذوبتها

وقد غطت أوراقها المزورة كل مساحات الجدران

صارخة بأعلى صوتها نظرية اكتشافها لأصل الإنسان

وتأسفين أنت على حياتنا المشتركة وعلى عافيتي المنهوبة

وتتألمين لجرائمهم بحواسي المشلولة

فما عمرك وعمري أمام سنوات الأمم التي كانت قمم

سنوات يدون التاريخ أحداثها المحزنة

ويتكدس بالأرشيف آلاف الصور لإدمان عزائمنا المخدرة

ويفخر الرعاة بحصاد رؤوس مئات القطيع من البشر

وهل هناك صوت يطرب منه الطغاة ويتزعزع لسماعه الوجدان

صوت أعذب من عويل الرجال

لم تعد أساليب التعذيب وراء القضبان سراً

أصبحت مألوفة ومعروفة

وما عادت مذكرات السجناء منشورات ممنوعة

فمن بيدهم عصمة مفاتيح الشعوب والدول تقدمت بهم الحال فهم على موائد التخطيط يدونون بجداول أعمالهم استيراد جزاء التعذيب من الدرجة الأولى.

وبعدها يتركون لخراب الأمم حرية القلم

لم تروي لهم أمهاتهم قصة الذئب الذي أكل أخيه لم يتفقهوا بحديث الغثاء كغثاء السيل

وسقط سهوا من معاجمهم معنى كلمة إمعة

ولا هم مبصرون كم هي معرفتهم أدغال مظلمة

وكم هي مناهجهم أقزام معوقة

حبيبتي ماذا يجدي نفعا أن أدون لك أحداث عذاب مضت فأنا واحد من الآف مؤلفة

وهل تظنين لو تكلمت لفضحت الجبابرة

لقد أصبحنا في زمن سجلات الطغاة به مفتوحة

لا حراس على خزائنها

ولا أقفال على أبوابها

ولا حياء من فضائحها

طغاة الناطقين بالعربية عامية أم همجية أم بربرية
أصبحنا مشاع ... ومعصية يُجهر بها .
يتجولون بقضايانا العالم بلا حياء ...
وكشفوا عن وجوههم أستار النقاب المخملية
وبالغوا بعرض محرماتنا ومقدساتنا
فصول وفصول وفصول على خشبات المسارح العالمية
فكفي عن البكاء ... لا مكان للدموع في مساحاتنا المحتلة
وإن غلبتك الدموع ، فابكي سورا من تنزيلنا الحكيم
نُعرض عن معناها ... ونتغنى بها ونتسابق في حفظها ونطرب من ابداع موسيقاها
ونخشع من روعة إعجازها ولا نطبق تعاليمها
أبكي عواطف تجتاح العالم الإسلامي كالبرق كالريح كالعاصفة وحسرة تتشعب في قلوب المسلمين
على واقعنا بعمومه ... ولا نترجم مشاعرنا إلى يقظة لا كبوة بعدها ... ولا غفوة فيها
لا نترجمها إلى عمل متتابع وجهاد متواصل ونهضة لا تغفو لحظة
نهضة تغلي في قلوب الأمهات ليفجرن في صدور أبنائهن رغبة عارمة بالخلاص من أخطبوط هذا الجهل المرير
ويقظة تتوقد في صدور الآباء كغيرة ملتهبة من روح النعامة التي يطبعون منها كل يوم نسخ بالملايين ويدمغون بها الأبناء ...
ولننهض نساءً ورجالاً وأبناءً وبنات مع كل شمس تشرق
متلهفين لتطبيق العبادة من قول إلى عمل عاضين على أعمارنا وكنوز منهج الله فينا بالنواجد
نحرق المراحل ونصعد جبال عقيدتنا الشامخة
نعلو عن الصغائر ونُعرض عن اختلاف يأكل انسانيتنا من الجذور
ويؤخر مسيرتنا قرون
ونسترد ثقتنا المزعزعة من إصرارنا على النجاح
نعم حبيبتي ... إنه الإسلام .... إنه الإسلام
في جعبته كل الحلول

وفي تعاليمه أدوية كل العلل ...

إنه الإسلام لو أتقنته الأمهات واعتنقته بالقلوب والعقول لنساب مع ألبان أثديتهن

ولرضعته أطفالهن ولصنعن الرجال الذين يعيدون لهذه الأمة بياض تاريخها وحقيقة وجودها

إنه الإسلام

لا مصيبة تشلنا

ولا كارثة تميتنا

ولازال منهجه بين أيدينا.